

تفسير البحر المحيط

@ 36 @ حكمة لأن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، والعقول تدل على صحتها وهي شرائع في جميع الأديان لا تقبل النسخ . . . وعن ابن عباس : إن هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام ، أولها { لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } قال تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنَ الْكُتُبِ شُرُوهً مَّوْءِيذَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } وكرر تعالى النهي عن الشرك ، ففي النهي الأول . { فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } وفي الثاني { فَتُلَاقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّذْمُورًا } والفرق بين مذموم وملوم أن كونه مذمومًا أن يذكر أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح منكر ، وكونه ملومًا أن يقال له بعد الفعل وذمّه لم فعلت كذا وما حملك عليه وما استفذت منه إلا إلحاق الضرر بنفسك ، فأول الأمر الذم وآخره اللوم ، والفرق بين مخذول ومدحور أن المخذول هو المتروك إعانته ونصره والمفوض إلى نفسه ، والمدحور المطرود المبعد على سبيل الإهانة له والاستخفاف به ، فأول الأمر الخذلان وآخره الطرد مهانًا . وكان وصف الذم والخذلان يكون في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة ، ولذلك جاء { فَتُلَاقَى فِي جَهَنَّمَ } والخطاب بالنهي في هذه الآيات للسامع غير الرسول . وقال الزمخشري : ولقد جعل [] عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بدّ فيها الحكماء وحك بيا فوخه السماء ، وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين [] أضل من النعم . . . { أَمْ أَفْأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا } إن زكّكم لتتقون قوولا عظيما * ولقد صرّفتنا في هاذنا القرآن ليزدركرؤا وما يزيدهم إلا زفورًا * قل لّو كان معه الهة كما يتقون إذًا لّبتغوا إلى ذي العرش سبيلا * سبيحانه وتعالى عما يتقون علوا كبيرا * تسبيح له * السموات والأرض * ومن فيهنّ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولاكن لا تفقهون تسبيحهم إن زهه كان حليما عفورا . . .

لما نبه تعالى على فساد من أثبت شريكا ونظيرا أتبعه بفساد طريقة من أثبت [] ولذا ، والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات [] ومعنى { أَمْ أَفْأَصْفَاكُمْ } آثركم وخصكم وهذا كما قال : { إِلَهِ * الْيَنَاتُ وَلَكُمْ } الأبنون * ألكم الذكركر ولله الأنثى { وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم

وعادتكم ، فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها
للسادات . ومعنى { عَظِيمًا } مبالغاً في المنكر والقبح حيث أضفتم إليه الأولاد ثم حيث
فضلتم عليه تعالى أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون ، ثم نسبة الملائكة الذين هم من شريف ما
خلق إلى الأنوثة . ومعنى { صَرَْفُذًا } نوعاً من جهة إلى جهة ومن مثال إلى مثال ،
والتصريف لغة صرف الشيء من جهة إلى جهة ثم صار كناية عن التبيين . وقرأ الجمهور {
وَصَرَْفُذًا } بتشديد الراء . فقال : لم نجعله نوعاً واحداً بل وعداءً ووعيداً ،
ومحكماً ومتشابهاً ، وأمرأً ونهياً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وأخباراً وأمثالاً مثل تصريف
الرياح من صباودبور وجنوب وشمال ، ومفعول { صَرَْفُذًا }